

البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عربشاه" الباب الثالث نموذجا"

الأستاذ : محسن بن عامر
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة صفاقس- (تونس)

Résumé:

Les etudes argumentatives jouissent d'un intérêt considérable qui élargi sa place dans de nombreux domaines de connaissance. Ainsi on tentera une recherche sur la dimension argumentative dans un ouvrage spécifique appartenant à un genre littéraire authentique de la littérature ancienne et on signifie par là l'œuvre de Ibn Arab Cheh (Murzuban Namah) qui s'inscrit dans le cadre de la fable.

ملخص:

تحظى الدراسات الحجاجية اليوم بأهمية كبرى نظرا إلى النضج الذي طال مجالات معرفية عديدة كالمنطق واللسانيات وعلم النفس... لكن رغم هذه المكانة التي للحجاج، لا يزال هذا المجال بكرا في ثقافتنا العربية المعاصرة، إما جهلا بأهمية هذا المبحث وإما مواصلة ربط الحجاج بأنواع معينة من الخطاب وحصره في عدد من العمليات المنطقية التي تخاطب الملكات الفكرية للمقبل وتنشطها.

لذلك، سنحاول ولوج هذا المبحث من خلال تتبع الحجاج في نص ينتمي إلى جنس أدبي عريق في مدونة الأدب العربي القديم، هو الجنس الأدبي للحكاية المثلية.

تحظى الدراسات الحجاجية اليوم بأهمية كبرى نظرا إلى النضج الذي طال مجالات معرفية عديدة كالمنطق واللسانيات وعلم النفس... لكن رغم هذه المكانة التي للحجاج، لا يزال هذا المجال بكرا في ثقافتنا العربية المعاصرة، إمّا جهلا بأهمية هذا المبحث وإمّا مواصلة ربط الحجاج بأنواع معينة من الخطاب وحصره في عدد من العمليات المنطقية التي تخاطب الملكات الفكرية للمتقبل وتنشطها.

لذلك، سنحاول ولوج هذا المبحث من خلال تتبّع الحجاج في نصّ ينتمي إلى جنس أدبي عريق في مدونة الأدب العربي القديم، هو الجنس الأدبي للحكاية المثلية. وتحكم اختيارنا هذا الموضوع مبررات عديدة: منها ما هو راجع إلى السعي إلى إغناء ما كتب عن الحكاية المثلية بتتبع المداخل إليها، ومنها ما يرتبط بندرة دراسة البعد الحجاجي لخطاب المثل - رغم أنّ الحجاج يمثل أحد الركائز الأساسية لخطابها - ومنها أيضا ما يتعلّق بكتاب "مرزبان نامة" نفسه. إذ فضلا عن انتماء هذا المصنّف إلى جنس الحكاية المثلية وأهمية الحجاج عند صاحبه وكتّاب الأمثال بصفة عامة، فإنّه بقي سليل نظرة تهميشية ترى عدم أحييته بالناية والتحليل لأنّه كتاب شعبيّ يحفل بالحكايات والخرافات والمسامرات. وغير خفيّ اليوم أنّ من الكتب ما يطويه الكساد فيظلّ منزويا وهو يحوي الكنوز، ومنها ما يحالفها التوفيق فتمتلئ بها الخزائن والمكتبات والمعارض مع أنّ مادتها قد لا تكون جديدة بالافتناء.

وعلى هذا النحو سنحاول تتبّع البعد الحجاجي في الباب الثالث "في ذكر الثعلبين المدعوّ أحدهما بالرئيس والآخر بالعدل" من كتاب مرزبان نامة.

وقد اقتضى منّا البحث أن نبدأ بالحديث عن الحجاج وما جاوره من مصطلحات في اللغة والاصطلاح، وعرضنا أهمّ مفاهيمه في الدراسات الغربيّة - بما هو مبحث غربيّ المولد - من جهة، ومجال جديد - رغم قدمه - في الدراسات العربيّة من جهة أخرى. ثمّ قصدنا تعريف كتاب مرزبان نامه للأسباب المذكورة سلفاً وذلك من خلال التعريف بصاحبه "ابن عربشاه" وخصائص عصره وضبط الغاية من وضعه وأهمّ مضامينه. ومن ثمّة تتبّعنا البعد الحجاجي من خلال ممثليه أي من خلال الشخصيات الحيوانيّة المتحاورّة في الحكاية المثلّيّة، ثمّ نظرنا في البعد الحجاجي لخطاب الرّاوي/ الحكيم مرزبان راوي ابن عربشاه.

1. الحجاج وما جاوره من مصطلحات في اللغة والاصطلاح:

1.1. الحجاج لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور قوله: "يقال: حاججته أحاجّه حجاجاً ومحاجةً حتّى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجّة: البرهان: وقيل الحجّة ما دفع به الخصم وقال الأزهري الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محجاج أي جدل والتجاج: التخاصم. وجمع الحجّة حجج وحجاج. وحاجّه محاجةً وحجاجاً نازعه الحجّة... وأحتجّ بالشيء اتّخذ حجّة... والحجّة: الدليل والبرهان. ويقال حاججته فأنا محاجّ وحجيج"¹.

يستشفّ من هذا التعريف لمادّة (ح،ج،ج) أنّ الحجاج أو المحاجة بوصفهما مصدران لفعل "حاجّ" هو النزاع والمخاصمة باعتماد الحجج أي البراهين والأدلّة. فابن منظور - وغيره ممّا ذكرنا في الهامش - يعرفون

الحجاج بما هو مرادف للجدل الذي يعني: "مقابلة الحجّة بالحجّة"².

2.1. الحجاج اصطلاحاً:

يدور مفهوم الحجاج فيما اطلعنا عليه مثلاً³، في فلك ثلاثة تعريفات مختلفة: أولها تجعله مرادفاً للجدل وثانيها تجعله جامعاً بين الجدل والخطابة، وثالثها وطيد الصلة بما وصلت إليه الدراسات الغربية الحديثة في هذا المجال أي دراسة الحجاج ومتعلقاته بما هو مبحث لغوي مستقل بذاته. وفيما يلي لمحة عن أهمّ هذه التعريفات⁴.

1.2.1. الحجاج بما هو مرادف للجدل:

ورد هذا التعريف عند القدماء وبعض المحدثين العرب. وفي ذلك يقول ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير": "ومنه سمّي علم قواعد المناظرة والاحتجاج في الفقه علم الجدل"⁵. وقال في موضع آخر معرّفاً المجادلة: "والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"⁶. وغير بعيد عن هذا، يجد المطلّع على كتب من مثل كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزركشي (ت 749 هـ) وكتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي (ت 911 هـ) استخدام ألفاظ "المحاجّة والحجاج والاحتجاج" على أنّها ألفاظ مرادفة للفظ الجدل.

وتبعاً لذلك، لا يبتعد تعريف الحجاج عن التعريف الذي له في علم المنطق، وفي ذلك يقول صادق الحسيني الشيرازي: "مقدّمات القياس التي يأتي بها الشخص لإقامة الحجّة على أي مطلب كان، حقّ أو باطل لإلزام الخصم، وتتألف مقدّماته من المشهورات وهي القضايا التي يسلم بها الخصم ويقبلها وإن تكن صحيحة عند المستدل"⁷. وإزاء هذا الخلط بين الحجاج

والجدل يرى عبد الله صولة أنّ مجال الحجاج يمكن أن يضيّق ويغرق في الجدل من حيث هو صناعة منطقيّة ومن حيث هو على العموم في علم أصول الفقه وعلم الكلام⁸.

2.2.1. الحجاج بما هو جمع بين الجدل والخطابة:

يستتبط هذا التعريف من اعتبار أرسطو الجدل والخطابة "قوتان لإنتاج الحجج"⁹ ومن ثمّة فإنّه يوجد على الأقلّ حجاجان: أحدهما جدلي والآخر خطابي¹⁰. أمّا الحجاج الجدلي فقائم على مناقشة نظريّة صرفة غايتها التأثير العقلي المجرد في حين أنّ الحجاج الخطابي حجاج موجّه إلى جمهور معيّن صاحب ظروف معيّنة ضمن مقامات خاصّة بهدف إثارة المشاعر والانفعالات وإرضاء الجمهور واستمالته ولو كان ذلك بمغالطته وإيهامه بصحّة الواقع¹¹.

وعليه، اتّخذ مفهوم الحجاج في العصر الحديث مفهوماً أدقّ وأوضح ووقعت تبرئته من تهمة المغالطة والاستمالة. فأصبح مبحثاً لغويّاً مستقلاً بذاته يرتدي ثوبا جديداً.

3.2.1. الحجاج بما هو مبحث لغويّ مستقلّ:

يعود هذا التعريف للحجاج إلى فضل عدد من الباحثين الغربيين الذين سعوا إلى جعل الحجاج مستقلاً عن الجدل والخطابة، ومنهم أساساً: ستيفان إيدلستون تولمين Stephan Edelston Toulmin، شايم بيرلمان وتيتيكاه Chaim Pereleman et Tyteca، أوسكمبر وديكرو J.C.Anscombe et Ducret وميشال ماير Michel Meyer. فما حدّ الحجاج عند هؤلاء؟

أ. الحجاج عند تولمين:

تدبر تولمين مفهوم الحجاج انطلاقاً من رسوم حجاجية ثلاثة ، أولها عماده ثلاثة أركان أساسية هي المعطى (م) والنتيجة (ن) والضمان (ض). وثانيها تدقيق للأول مع إضافة كل من عنصر الموجّه la qualificateur modal وعنصر الاستثناء . وثالثها، وهو الأكثر دقة من خلال إدخال عنصر الأساس Fondement الذي يبنى عليه الضمان Garantie¹². ولعلّ جمع هذه الرسوم الحجاجية هذه الأركان، أي المعطى والنتيجة والضمان، يقربها من طريقة الاستدلال الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية على شاكلة "صغرى، كبرى، إذن نتيجة". ولكنّ اللآفت للانتباه، عند عبد الله صولة، في تعريف تولمين إنّه: "غير حجاجي ولذلك اعتبرنا أنّ الحجاج يرمي دائماً إلى إقناع الغير، وإنّما هو أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق حيث يقصد بالبرهان إثبات الحقّ لا لإقناع الغير به في العادة. وإنّما لإقناع المرء نفسه وتلك هي الطريقة المتوخاة عادة في البرهان"¹³. ويقول في موقع آخر بأنّ هذا الأمر يفسّر لنا غياب ركن الجمهور في رسوم تولمين الحجاجية ومعلوم أنّ الجمهور قوام الحجاج وعماده¹⁴. والظاهر أنّ تولمين قد اعتبر -فيما بعد- الحجاج لا مجردّ تتابع للقضايا إنّما هو تفاعل بين الأطراف المسهمة في المحادثة والحوار.

ب. الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه:

ضبط بيرلمان وتيتيكاه تعريفاً للحجاج مفاده أنّ: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك

التسليم¹⁵. ثم حدّد الغاية من الحجاج فقالوا: "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تزدن لما يطرح عليها من آراء أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب أو هو ما وفق على الأقلّ في جعل السّامعين مهيبين للقيام بذلك العمل في اللّحظة المناسبة"¹⁶.

وعلى هذا النحو، فإنّ مفهوم الحجاج عندهما يستند على صناعة الجدل من جهة وصناعة الخطابة من جهة أخرى "بكيفية تجعل الحجاج شيئاً ثالثاً لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة... إنه خطابة جديدة"¹⁷، على حدّ تعبير عبد الله صولة. لذلك، يختلف مفهوم الحجاج عندهما عن مفهوم الحجاج عند تولمين الذي هو عنده أبعد ما يكون عن المحادثة والمخاطبة. كما أنّ هذه النّظرية فضلاً عن كونها تحمل الحجاج في صميم الحوار بين المحاجّ والجمهور المستهدف فإنّها تتوسّل بتقنيات وطرائق تحدّد مجال الحجاج وتميّزه عن الاستدلال وعن الإقناع في آن واحد.

ت. الحجاج عند أوسكمبر وديكرو:

يكشف عنوان كتابهما "الحجاج في اللّغة L'argumentation dans la langue" أنّهما يعرفان الحجاج من حيث بنيته في اللّغة ذاتها. وهو عندهما: "تقديم المتكلم قولاً ق1 (أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر ق2 (أو مجموعة أقوال أخرى)"¹⁸. على أنّ هذا القول 1 يمثّل حجة ينبغي أن تؤدّي إلى ظهور قول 2 ويكون هذا الأخير قولاً صريحاً أو ضمناً. ومن ثمة يعدّ الحجاج "إنجازاً لعملين هما عمل التصريح بالحجّة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحاً بها أو

ضمنية¹⁹.

وقد حصر الباحثان درس الحجاج في إطار دراسة اللغة لا في البحث عمّا هو واقع خارجها. فعندهما أنّ إمكانيات التتابع الحجاجي تحدّد من خلال عمل كلامي Acte de Langage مخصوص هو عمل الحجاج Acte d'argumentation . لكن هناك من عاب على هذه النظرية حصرها دلالة الملفوظ في "التوجيه" L'orientation الناتج عنه عند الحديث عن وظيفة الحجاج. فالتوجيه يمكن أن يحصل في مستويين: إمّا مستوى السّامع أو مستوى الخطاب نفسه.

وعلى هذا الأساس، فإنّ : "دلالة الكلام ليست التوجيه فحسب إنّما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها. فقد يكون لهذا الكلام بحسب المواقف التّأويلية التي نقفها من دلالات تتجاوز الحجاج والتوجيه وتفيض عنهما"²⁰.

ث. الحجاج عند ماير:

الحجاج عند هذا الباحث دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه²¹. ولعلّ قيام الحجاج على قسمين: صريح وضمني يجعله حتما ذا صبغة حوارية أي مجالا تتجاوز في رحابه الأطراف. بيد أنّ ما يحسب لماير في صياغته لمفهوم الحجاج هو ربطه الحجاج بنظرية المساءلة²² La théorie de questionnement. "فما الحجّة عنده إلاّ جوابا أو وجهة نظر يجب بها عن سؤال مقدّر يستنتجه المتلقّي ضمنيا عن ذلك الجواب، ويكون ذلك بطبيعة الحال في ضوء المقام وبوحي منه. وما السؤال إلاّ عرقول أو مشكلة تتطلّب حلاّ. وحلّها إنّما يكمن في الإجابة عنها إجابة يفهم منها ضمنيا

أن تلك المشكلة موجودة. بحيث لا يكون المتلقي في نهاية المطاف وهو يقرأ الحجج الصريحة أو الأجوبة في خطاب ما إلاّ طرح أسئلة Questions يستنتجها ضمناً من خلال تلك الأجوبة المقدّمة في النصّ مستعينا بالمعطيات التي يوفرها المقام²³.

وإلى هذا الحدّ من إعطاء لمحة عن أهمّ مفاهيم الحجاج ومتعلّقاته، نقدّر أنّه لا مناص من أن نوّلي وجهنا شطر مسألة أخرى ضروريّة هي التعريف بمصدر بحثنا. فمما تجدر الإشارة إليه، ههنا، أنّه لئن اخترنا تتبّع البعد الحجاجي في باب مخصوص من أبواب كتاب مرزبان نامه لابن عربشاه، فإننا نقدّر أنّ هذا الكتاب جدير بالتعريف وإظهار أهمّ خصائصه الخارجيّة والداخلية. حجّبتنا في ذلك عراقة هذا الكتاب وانتمائه إلى طائفة كبيرة من الكتب المغمورة في تراثنا النثري العربي القديم.

وعلى هذا الأساس، سنحاول فيما يلي التعريف بصاحب الكتاب وعصره أوّلاً، ثم سنبحث في العنوان والغاية من وضعه ، ثانياً، فالوقوف على أهمّ مضامين مرزبان نامه ثالثاً. ومتى انتهينا إلى هذه المرحلة، سنتحدّث عن الحجاج في خطاب ممثّليه في الباب الثالث من "مرزبان نامه" من جهة، والحجاج في خطاب الحكيم مرزبان، أي راوي الحكاية المثليّة من جهة أخرى.

2. تعريف كتاب مرزبان نامه

ارتأينا أن نعرّف كتاب مرزبان نامه، موضوع البحث، نظراً إلى أهميّة هذا الكتاب من جهة كونه يمثّل بحق شهادة أخرى على الوضعية الهامشيّة للقصة في الأدب العربي القديم، فهو غير معروف لدى جمهور

كبير من الدارسين والنقاد، ومن جهة ما يحيل عليه من قضايا رئيسية تتصل بحياة الإنسان عامّة.

وعليه اعتبر كتاب مرزبان نامه أول كتاب فارسيّ ظهر على نمط أسلوب كليلة ودمنة²⁴ وتجمعه علاقة متينة بنصّ ابن المقفع. لذلك يمكن أن نصرّح منذ البداية بعراقة هذا الكتاب ومكانته في مدونة الأدب المتلي العربي، غير أننا نشير أيضا إلى أنّ مرزبان نامه، وإن عرف في أوساط الدارسين²⁵ لكتب الأمثال واستنطاق الحيوان في الأدب العربي القديم، فإنه بقي سجين نظرة تبسيطية مفادها عدم أحقية هذا الكتاب بالدرس إضافة إلى أنّ مترجمه لم يحظ بشهرة واسعة. وفي ما يلي نشير إلى مترجمه إلى اللغة العربية وعصره كإجراء أولي في التعرف على هذا الكتاب.

1.2. ابن عربشاه وعصره:

ابن عربشاه: اسمه الكامل أحمد بن محمد بن عبد الله إبراهيم شهاب الدين أبو العباس الدمشقي الحنفي العجمي²⁶ يعرف بابن عربشاه²⁷. ولد سنة 791 للهجرة بدمشق ونشأ بها. وإثر غزو القائد المغولي تيمورلنك لدمشق وتشريده كثيرا من أهلها اضطر ابن عربشاه وعائلته إلى مغادرتها باتجاه بلاد الروم ومنها سمرقند ولم يعمر فيها طويلا فأخذ ينتقل في مشارق بلاد الإسلام بين منغوليا وفارس طلبا للعلم وهو ما مكّنه من إتقان اللغات المتداولة في عصره (وهي العربية، التركية، الفارسية والمغولية). وبهذا الرصيد نرح إلى المملكة العثمانية في آسيا الصغرى (تركيا) وخدم سلطانها محمد الأول بن بايزيد (805-824 هـ) فأصبح محل ثقة ونقل له بعض الكتب من الفارسية إلى التركية، فولاء السلطان العثماني ديوان الإنشاء

وصار يقوم على كتابة رسائل السلطان العربيّة والتّركيّة والفارسيّة. ويشير مترجموه إلى أنه لما مات السلطان المذكور عاد ابن عربشاه إلى الشّام فأقام في حلب سنة 824 هـ ثم دمشق وقد تزايدت معارفه وانقطع للمطالعة في الفقه والبيان، وفي سنة 840 هـ انتقل إلى القاهرة في زمن الملك الظاهر جقمق (842-857 هـ) وهو من الحكام الأقوياء المحيّن للعلم والعلماء والرّاعيين في مصابحتهم. وقد برع ابن عربشاه في النّظم والنثر وسائر العلوم واتّصل بأبي المحاسن التّغري وبقي بمصر حتى مات سنة 854 هـ. ونظراً إلى تمتّع هذا العلم بمثل هذه الثقافة الواسعة يشير مؤرّخوه²⁸ إلى أنّ آثاره كثيرة ومتنوّعة وجامعة بين علوم مختلفة كاللّغة والعروض والتاريخ. منها ما هو مترجم ومنها ما هو من تأليفه. ومن أشهر آثاره: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، عجائب المقدور في نوائب تيمور، مرآة الأدب، غرّة السيّر في دول الترك والتتر... هذا فضلاً عن كتاب مرزبان نامه الذي نحن بصدد.

2.2. في عنوان الكتاب والغاية من وضعه:

يدخل وضع كتاب مرزبان نامه في إطار الأثر الذي تركه نصّ سابق له وشبيه به هو نصّ كليلة ودمنة في الأدب المثلي. ويعني مرزبان نامه بالعربيّة كتاب مرزبان. على أنّ مرزبان هو "حسب سياق الكتاب واحد من أربعة أُنجال لأحد ملوك طبرستان"²⁹. وكان متميّزاً عنهم بالفضل والتدبير وحسن السّياسة. وتنقسم كلمة مرزبان إلى جزأين: أحدهما "مرز" ويعني الحدود، والثاني "بان" ومعناه حارس الحدود. ومثله باغبان أي حارس الحديقة (...). وباسبان أي الشرطة وكشتيان أي ربان السفينة. وقد أطلق العرب اسم

مرزبان على هيربد هيربدان أي كبير سدنة بيوت النار لطائفة المجوس (...). وجاء جمع مرزبان في اللغة العربية على مرازبة³⁰. ولعلّ تسمية الكتاب بهذا الاسم "مرزبان نامه" انعكاس لطابع عصر " كثر فيه استخدام الكنى والألقاب لتطلق على الملوك والوزراء والكتب والفقهاء وغيرهم من كل من يعمل في الدولة"³¹. ولئن وضع الكتاب على ألسنة الحيوان فإنه موجّه إلى الإنسان عامّة، ففيه جملة من الآداب السلطانية المشتملة على أنواع المعاملات الإنسانية كأداب العبد مع ربّه وآداب الحاكمين والمحكومين والأصدقاء والأولاد والزوجة وقيادة الجنود ورعاية الجار وحسن تدبير المال، إلى غير ذلك مما يعدّ مرجعا لتصرّف الملوك والسلاطين.

فما أصل هذا الكتاب؟ وما أشهر ترجماته؟

يعود تاريخ تأليف مرزبان نامه إلى أواخر القرن الرابع الهجري حيث كتب باللغة الطبرية القديمة³² على يد أصفهيد مرزبان بن رستم بن شروين بريم أحد أفراد أسرة ملوك باوند المشهورة في تاريخ طبرستان³³ وأهداه إلى الأمير شمس الدين المعالي قابوس³⁴ بن وشمكبير بن زيار حاكم جرجان (366-403 هـ). وقد ضاع أصل الكتاب ولم يعد له وجود الآن، بيد أنه قد ظهرت في القرن السادس الهجريّ ترجمتان لهذا الكتاب باللغة الفارسية الدرية، أي الفارسية الجديدة، إحداهما تسمى بروضة العقول والأخرى تسمى باسم الأصل أي مرزبان نامه³⁵.

بيد أنه توجد نقطة مهمّة تجدر الإشارة إليها ههنا، مفادها أننا لا نكاد نعثر في المصنّفات التي اطّلعنا عليها على كتاب أو قسم من كتاب يتناول مرزبان نامه من قريب أو من بعيد عدا أنه نصّ من بين نصوص صلتها بالحكاية المثلية وطيدة" يشتمل على حكايات وتمثيلات خرافية ذات غاية

تعليمية كتب على نمط كتاب كلية ودمنة وأسلوبه على السنة الحيوانات والطيور والجان³⁶. وكما ذكر هذا الكتاب فإنه يذكر من باب الاستشهاد به لا من باب دراسته وتحليله ونقده. والواقع أن الإضاءات القليلة التي تضمنتها هذه المصنّفات لا تكفي لتعطي المقبل على دراسة هذا الكتاب فكرة شافية ضافية عنه. ولعلّ ضالّة حظّ مرزبان نامه من اهتمام الدارسين والنقاد راجعة إلى أنه لم يحظ بتحقيق مثبت. فلا الأحداث التاريخية المشار إليها في الكتاب مضبوطة ولا الأبيات الشعرية الموثقة فيه مردودة إلى مصادرها وأصحابها ولا الأسماء أيضا سواء الدالّ منها على الأشخاص أو الأماكن معرفة، إضافة إلى شوارد الألفاظ وأصناف الكلمات الغريبة التي تتخلّل الكتاب دون شكل أو شرح يسهل على القارئ فهم مادّة النصّ ومقاصده.

أما النسخة المتوفرة لدينا فصادرة عن مؤسسة الانتشار العربي ببيروت في طبعتها الأولى من سنة 1992 وقد ورد في بدايتها أن "هذا الكتاب هو نسخة طبق الأصل عن طبعة حجرية في مطبعة أحمد أفندي الأزمرلي في القاهرة سنة 1287 هجرية الموافق 1858 ميلادية كان نقلها المترجم شهاب الدين أحمد بن محمد بن عربشاه عن النسخة التركيّة المترجمة بدورها عن الأصل الفارسي³⁷.

3.2. أهمّ مضامين الكتاب:

ومتى دققنا النظر في أبواب الكتاب نقف على الأسباب المباشرة التي كانت وراء وضع الكتاب وأهمّها تفكير مرزبان نامه في عواقب ما عزم عليه إخوته من العصيان والتمرد وانزوائه عنهم ومشاورته أهل الفصاحة والرأي السديد في أمر إخوته فطلبوا منه "أن يضع لهم كتابا يشتمل على

أنواع الحكمة واللّطائف التي تتهدّب بها النفس وتتوفّر بها مكارم الأخلاق ويكون عوناً على اكتساب مصالح المعاش والمعاد ويدلّ على فضائله وغازاة حكمته وعلمه³⁸. فاستحسن ما أشاروا به عليه وعرض الأمر على أخيه الأكبر وكان حاكمهم بعد موت أبيهم، فاستصوب هذا الأخير طلب أخيه الأصغر مرزبان ووعى حسن نيّته وصدق وفائه وحسن إتجائه ووافق على وضعه الكتاب رغم اجتهاد بقية الأخوة في إبطال هذا المشروع بالاعتماد على ضروب إقناع شتى (حكم، أمثال، أشعار...).

أمّا بقية أبواب الكتاب فتتفاعل مجتمعة لتأكيد موقف الملك من أخيه من جهة ولبيان قدرة مرزبان على مقارعة أعسر المسائل والتفنّن في كشف المستور من تصرّقات الملوك والإجادة في نقد كافة طبقات المجتمع من جهة ثانية. فالكتاب كما ذكرنا موجّه إلى الإنسان عامّة. ورغم أنّه موضوع على أسنة الوحوش والطّير، فهو لا يهتمّ كثيراً بوصفها وتتوّع طبائعها، فقد اتخذها ابن عربشاه رموزاً للبشر ومطيّة للكشف عن سجاياهم وسلوكهم حتى يتمكّن من عرض آرائه في السّياسة والاجتماع والأخلاق والدّعوة إلى الإصلاح الذي ينشده، فهو لم يتعمّق في الكشف عن غرائز الحيوانات وخصائصها لأنها غير مقصودة لذاتها فحاول استغلالها بإنطاقها بكلّ ما لم يستطع التصريح به أو إعلانه مباشرة من نقد لسياسة الحكام وكشف للأوضاع المزريّة للعديد من الناس سيرة وسلوكاً وعملاً.

وإجمالاً، فقد ورد كتاب مرزبان نامه موجّهاً إلى الخاصّة والعامّة على حدّ السّواء، فالخاصّة تجد فيه الصّورة المثلى للملك وجملة القواعد والسلوك التي يمكن أن تعدّ مرجعاً لتصرّفه، والعامّة تجد فيه إلى جانب اللّهُو والتسلّية كلّ ما من شأنه أن يضمن لها حياة آمنة مستقرّة تسودها المحبّة

والإنصاف وذلك ما يؤكد عليه ابن عربشاه نفسه ويضيف إليه حيث يقول: "ليعلم الناظر في هذا الكتاب بأنّ فيه من الحكم ولطائف الكلم ما يصلح أن يكون للملوك معتمداً وللأكابر والأفاضل مرشداً وللأدباء جليسا وللغرباء أنيساً"³⁹. وجاء نقده شاملاً لجميع طبقات المجتمع تغلب عليه النزعة التعليمية التوجيهية الإصلاحية من خلال التكتيف من استعمال بعض العبارات من قبيل: اعلم، ينبغي، أخبرني، إيّاك، ...⁴⁰ فهو كتاب في النصّح والنقد والإصلاح وأظهر ما يحرص عليه ابن عربشاه فيه الغوص "في بحر الفطنة على جواهر الحكمة"⁴¹.

بيد أنّ ما يهتمّنا من مادّة الكتاب هو ما ورد في الباب الثالث منه. وفيما يلي نعرض خطاطة عامّة لمادّة هذا الباب من خلال استخراج الخطوط العريضة التي قام عليها نسيج الحكاية المثلّية فيها. الآية في ذلك تيسير فهم أهمّ جوانب هذه الحكاية:

✓ أسد مالك لغابة وفي خدمته ثعلبان يلازمانه وينادمانه - وله دبّ وزير بينه وبين الثعلبين عداوة.

- الملك والثعلبين في جلسة خمريّة ↪ الملك يغلب عليه النعاس ↪ يخرج منه ريح ↪ يتظاهر الملك بالنوم ليعرف ما يصدر منهما ↪ يضحك الرّئيس "أحد الثّعالبة" فيلومه العادل "الثعلب الثاني".

- العادل يورد جملة من الحجج للاستدلال على أنّ الملوك تُحترم مجالسهم في كلّ الأحوال.

- الرّئيس يردّ عن أقوال العادل بجملة من الحجج الأخرى.

✓ ينشأ جدال بينهما حول الجاهل والغافل وفضل كتمان السرّ. ويحاول كلّ طرف إقناع الآخر بسداد رأيه من خلال إيراد جملة من

- الحكايات المثلية .
- العادل يرقّ لحال الرّئيس القابع في السّجن ويسعى في إصلاح علاقته السيئة مع الملك.
- العادل في مجلس الملك بحضور الدّبّ الوزير بهدف النّظر في أمر الرّئيس.
- حديث مطوّل بين الأسد والثعلب والدّبّ حول شروط العلاقة بين الحاكم والمحكوم وكيفية التصرف لحظة الخطأ والتقصير.
- ✓ قبول الأسد النّظر في أمر الرّئيس.
- العادل يبشّر الرّئيس بموافقة الملك النّظر في أمره.
- الرّئيس يسرد حكاية الحكيم "يزرجمهر في مخدمه كسرى" لمراقبة طالعه.
- عفو الأسد عن الرّئيس وغضب الدّبّ ومحاولة إفساده هذا العفو.
- تفتنّ الأسد إلى خبث الدّبّ ➔ ندم الدّبّ.
- يحاول الدّبّ إصلاح العلاقة مع الرّئيس عبر الأرنب ويسرد حكاية التاجر البلخي في أمر زوجته.
- الأرنب يبلغ العادل ما سمعه من الدّبّ فيتدخّل العادل ويعتذر للوزير عند الرّئيس.
- ✓ الجميع في مجلس الملك.
- الملك يصفح عن الرّئيس ويسرد حكاية ملك الهند مع مخدمه.
- الأرنب يبارك قرار الملك ويسرد حكاية الملك كسرى مع غريمه، ويدعمها بحكاية الشبيطير مع العصفور.
- ✓ نهاية الحكاية.

واستناداً إلى هذه الخطاطة، نحن إزاء أصوات حجاجية متعدّدة يدور بينها الخطاب الحجاجي، هي أصوات الرّئيس، العادل، الملك، الدّب، والأرنب، ومن ورائها جميعاً صوت مضرّ يحرك شخصها هو صوت الحكيم مرزبان راوي ابن عربشاه.

وعلى هذا الأساس، سيكون تتبّعنا للبعء الحجاجي في خطاب باب "في ذكر الثعلبين المدعوّ أحدهما بالرّئيس والآخر بالعادل" من خلال النّظر في الخطاب الحجاجي لأهمّ ممثّليه أوّلاً، ثمّ النّظر في الخطاب الحجاجي للراوي ثانياً.

3. الحجاج من خلال ممثّليه:

إنّ البحث في هذا الجانب، يتعلّق بالدور الذي يلعبه ممثّلو الحجاج في تشكيل الخطاب الحجاجي. وتجدر الإشارة إلى أنّ النّمودج الذي تتطّلق منه أكثر المناهج القديمة في الحجاج هو نمودج الخطبة حيث يوجد شخص مفرد "يخاطب جمهوراً ويحاول اقناعه برأيه أو موقفه من مسألة ما. ومن ثمّة نحن إزاء باثّ واحد ومتلقّ جمع، ويختلف دور هذا المتلقّي عن دور الخطيب/ المرسل. فهو لا يحاور المرسل بل يكتفي بقبول أو رفض ما يرسل إليه. فمكانة المتلقّي إذن دون منزلة المرسل. والحجاج ينتج كلّه عن المرسل الذي يسعى بدوره إلى مراعاة ميولات الجمهور واختلاف أصنافه. لذلك يحاول الخطيب أن يعرض نفسه في أحسن صورة أمام الجمهور حتّى يؤثّر فيه ويزيد خطابه قدرة على الإقناع. ويعدّ بيرلمان Pereleman "من أواخر من قارب الحجاج اعتماداً على نمودج الخطابة. فالكثير من الباحثين المحدثين، وخاصةً من يتبع منهم المنهج اللساني الجديد المتمثّل في نظرية التخاطب

L'énonciation رأوا أنّ الحوار يمثل نموذج الخطاب الحجاجي، أي النقاش بين أكثر من شخص مع أكثر من موقف حول قضية ما. ومن هذا المنطلق عرّف Christian Plantin الأدوار الحجاجيّة Les rôles argumentatifs بأنّها دور المقترح Le proposant ودور المعارض l'opposant ودور الثالث المحايد le tiers، وهو يميّز بين هذه الأدوار وبين ممثليهم les acteurs.⁴²

ومتى جوّدنا النّظر في خطاب حكايات الباب الثالث من مرزبان نامه نلاحظ أنّ الأصوات الحجاجية تتراكم وتتعدّد وتتقاطع في بعض الأحيان. فتعدّد الأصوات في هذه الحكايات يعني وجود أصوات في صيغة الجمع، وأنّ لكلّ صوت دورا حجاجيا مستقلاّ ينهض به.

ومن هذا المنظور يرتبط الحجاج بالخطاب إذ الكلام كلّه حجاجي ضرورة. و"كلّ ملفوظ يهدف إلى الفعل في متلقّيه وإلى تغيير طريقة تفكيره. وكلّ ملفوظ يجبر الآخرين على تغيير معتقداتهم وآرائهم وأفعالهم أو حثّهم عليه"⁴³ وتبدو العلاقة وطيدة بين خطاب الحكاية المثلّيّة والحجاج من خلال فحوى الخطاب الحجاجي الذي يجمع شخصيّات الحكاية.

وبما أنّ تحليل البعد الحجاجي لخطاب هذه الأصوات -كلّها- لا تستجيب له حدود هذا البحث بالقدر الكافي فإننا نشير إلى أننا سنركّز على وجه الدقّة، على صوت العادل، صوت الرّئيس، وصوت الملك.

محور الأحداث في حكاية "التّعلبين المدعوّ أحدهما بالرّئيس والآخر بالعادل" هو ضحك الرّئيس عن الملك عند خروج ريح منه ومعاينة العادل له بسبب هذا الفعل الدّال على عدم احترام المملوك للملك، فالعادة تقتضي "أنّ الملوك تُحترم مجالسهم غابوا أو حضروا، ناموا أو استيقضوا"⁴⁴.

أما الصّوت الذي يحتجّ من أجل النتيجة أنّ مجالس الملوك تقتضي الاحترام، فيعتمد خطّة حجاجيّة قوامها حجج متنوّعة. إنّ صوت العادل يلوم الرّئيس ويدافع عن هيبة الملك ويحاول إقناع الرّئيس بضرورة احترام الملك. فهذا الصّوت هو الذي يطرح السّؤال (أما علمت أنّ الضحك بلا سبب من قلة الأدب "ص 62") وهو يدعّم خطابه بعدد من الحجج "وقد قيل: رفع قلم العتاب عن النائم والسّكران والمجنون والصّبيّ وعذر النائم أوضح من عذر الباقيّن، فإنّ النّوم أخو الموت، ولقد قال صاحب الأخلاق: لا يعيب الشّخص على أحد عيباً هو فيه، وإذا صدر من الملوك منقصة فلا تعدّ إلاّ منقبة"⁴⁵. وينتهي إلى إظهار النتائج الممكنة التي تنتظر مخالف أسس العلاقة مع الملك، "فمن جالس الملوك بغير أدب فقد خاطر بنفسه وأوجب لها التّعيب"⁴⁶.

وعلى هذا الأساس يفهم حجاج هذا الصّوت على أنّه يعتمد التّحديد والتّوجيه والتّحذير: تحديد طبيعة العلاقة بين الرّاعي والرّعية وتوجيه المملوك إلى ما فيه صلاحه وتحذيره من مغبّة الوقوع في الزلّل.

أما حجاج الصّوت الثّاني في حكايات هذا الباب فيمثّله خطاب الرّئيس، وهو خطاب حجاجي معارض لخطاب الصّوت الأوّل. فكلّ طرف يحاول أن يثبت أطروحته ويبكّت أطروحة الخصم متسلّحاً بجملّة من الحجج. إلاّ أنّ أحسن طريقة لمغالبة الخصم الحجاجي لا تتمثل دائماً في محاولة إسقاط كلّ ما تضمّنته أطروحته بل في المصادقة على أغلب ما ورد فيها مع تحويل اتّجاه النتيجة. وهي الخطّة المسمّاة بخطّة الإضراب Le concession . وفي هذا الإطار يقول الرّئيس (الصّوت الحجاجي الثّاني)، بعد تلقّيه خطّة العادل (الصّوت الحجاجي الأوّل): "لقد صدقت وفصحت فجزاك الله عني خيراً وقد وقع الخطأ على سبيل الغفلة وقد خرج هذا الأمر منّي على سبيل

السّهو. وهو كالسّهم إذا خرج لا يعود إلى كبد القوس كما قيل: القول كاللبن المحلوب ليس له ردّ وكيف يردّ الحالب اللّبن، ولكن الذّنّب غير المستمدّ المار لا يستحقّ صاحب العقوبة ولا الدّمار"⁴⁷.

فالرّابط الحجاجي "لكن" مثلاً، يساعد مستعمله في عمليّة الإضراب وتغيير مسار الحجاج إلى النّتيجة التي يريدها. ولعلّ النّتيجة التي آل إليها الخطاب الحجاجي الذي جمع بين العادل والرئيس تؤكّد هذه النّقطة، حيث رقّ العادل للرئيس - بعد أن أظهر رفضاً شديداً لتصرّفه إزاء الملك - وقال: "حبّاً وكرامة ولو لم تقل لي ذلك لما كان يسعني التخلّص عن خلاصك وإنّما قلت لك ما قلت من شدّة ما نابني من الحرق والأرق"⁴⁸.

وأما حجاج الصّوت الثّالث، فيمثّله خطاب الأسد، وهو حجاج يستمدّ قدرته على الإقناع ليس من الحجّة نفسها ولكن من جهة شخصيّة المحاجّ (الأسد). فهو إذن حجاج بالسلطة، ولعلّ قول المحاجّ: "حتّى أنظر في هذا الأمر فتفرّقوا من المجلس..."⁴⁹ خير دليل على ذلك. فالمحاجّ يمارس سلطة على الجمهور، لذلك يبدو من الطّبيعي أن يسيطر المحاج على الحوار من جميع نواحيه وهو الذي يوجّه بقيّة الأطراف عند اختيارها ردودها، وهو أيضاً من يحدّد المنطلقات والنتائج. فلا يتجرأ أحدهم على معارضته ولا يناقشونه فيما يخصّ رفضه لجوابهم.

فالسّلطة الحجاجيّة واضحة في خطاب الأسد وقبول أقواله أمر مضمون بصرف النّظر عن تبريره. لذلك عندما أورد الأسد حكاية مثليّة ليتأدّب جلساء الملوك وندماؤهم لئلاً يفعلوا شيئاً يحتاجون معه إلى غيرهم أو إلى مكث في السّجن واستعمال جماعة من الأصحاب في السّعي إلى تدارك ما يترتّب عليه من الخزي والنّكال، قام الأرنب، مثلاً، وقبّل الأرض وقال:

"يا مولانا الملك كلّ هذا سعادتك وبركة ملاحظتك"⁵⁰. فهو لم يعارض قول سيّده، بل إنه سعى إلى مزيد تأكّيده من خلال إيراد حكاية الملك كسرى مع عزيمه.

إجمالاً، لقد سعى الصوّت الأوّل "العادل" والصوّت الثاني "الرئيس" إلى تنويع الحجج وأساليب الإقناع وحرص كلّ طرف على إخضاع الآخر، ويعود هذا المعطى إلى طبيعة الحوار في الحكاية المثلّية: "ففي اللّجوء إلى الحجاج تخلّ عن العنف والإكراه واعتراف للآخر بنديّة هي شرط قيام الحجاج واستمراره. وهو يقتضي توفّر قواسم مشتركة بين طرفيه واستعداد كليهما للتنازل عن رأيه ... أثناء التّفاعّل الحجاجي"⁵¹. أمّا الصوّت الثالث (الملك) فما هو إلاّ تمثيل لطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم أو لنقل بين محاجّ فاعل ومحجوج (واحد أو أكثر) مفعول به. ومن ثمّة، يمثّل الحوار في خطاب الحكاية المثلّية نموذج الخطاب الحجاجي أي الحوار بين أكثر من شخص مع أكثر من موقف حول مسألة ما. فتتعدّد الأدوار الحجاجيّة في الحكاية المثلّية من جهة ويتعدّد ممثّلو الخطاب الحجاجي من جهة أخرى⁵².

كما نلاحظ، فضلاً عمّا ذكرنا، أنّ إندراج الحوار في حقل الأدب المثلي وانتماؤه إلى جنس السرد التخيليّ يحلّله في مجال أوسع هو مجال الحوار بين الرّاوي Le narrateur والمرويّ له le narrataire .

4. الحجاج في خطاب الرّاوي:

لئن دافع بعض الكتاب عن وجود الزّوج كاتب ضمّني (أو مجردّ)/ قارئ ضمّني (أو مجردّ)، في الحكاية التخيليّة، ودعا إلى دراسته، ومن أشهر القائلين بهذا الرّأي ياب لنتفلت Jaap lintvelt⁵³ ، فإنّ البعض الآخر

يرفض هذا الزوج، وأشهر من يمثل هذا الرأى جيرار جونات Gérard Genette⁵⁴. ولكنهم جميعا يشتركون في أنّ الحكاية هي موضوع تواصل بين الراوي والمروي له.

وفي هذا الإطار يرى جونات أنّ الرواية عملية إبلاغ تقتضي الراوي والمروي له. ويضيف أنّ القصة التي لا راوي لها والملفوظ المعزول عن التلفظ يبدوان وهما محضاً⁵⁵. وبما أننا نخشى، هاهنا، السقوط في عملية تنظير لا تستجيب لها حدود هذا البحث وغاياته لمفهوم الراوي من جهة ومفهوم المروي له من جهة ثانية. سنكتفي بالإشارة فضلا عن المراجع المذكورة سلفاً، إلى كتابين قيّمين في الدراسات العربية الحديثة، هما: كتاب "الراوي في السرد العربي المعاصر"⁵⁶ لصاحبه محمد نجيب عمامي وكتاب "المروي له في الرواية العربية"⁵⁷ للكاتب علي عبيد. ففيهما معا شفاء لدارس الأعوان السردية.

وفي الباب الثالث من مرزبان نامه يشترك هذان العونان في غيابهما عن الحكاية المثلية المروية ويشتركان أيضا في سمة التخفي. فهما مجردان من الإسم العلم وكلّ ما من شأنه الإحالة عن ملامحهما المادية. "ورغم تلازمهما فلا يمكن التعرف إليهما إلا من خلال الراوي. فهو الذي يبتّ الخطاب القصصي في رسم، في الآن نفسه، صورته الخاصة وصورة متلقي خطابه، نظيره المروي له. وهذا الخطاب هو الذي يسمح باستكشاف إن كان الراوي يتوجّه إلى مخاطبه بنية التأثير فيه. وهو الذي يتيح، في صورة توفر هذا البعد الحجاجي، والتعرف إلى الأطروحة أو الآراء والمواقف التي يدافع عنها الراوي ويسعى إلى حمل مخاطبه على تبنيها"⁵⁸.

ولعلّ عدم التصريح باسم الراوي (الحكيم مرزبان في بقية أبواب الكتاب) في هذه الحكاية المثلية يوحي بأنّ الراوي سينجز عملية السرد في حياة تامّ وموضوعيّة واضحة. لذلك، يستعمل الراوي ضمير الغائب لإيراد حكايات انقضت أحداثها قبل تَلْفُظْه بها.

فنحن إذن إزاء سرد لاحق وظيفته الإيهام بالواقع، وراو يمثّل مجرد ناقل موضوعيّ لأحداث ولّت كان عرفها من خلال طرف لم يسميه "قال الحكيم: بلغني أن...". فقد جاء السند في فاتحة هذا الباب تركيباً مزدوجاً جزؤه الأوّل مجرد صفة معرفة (الحكيم) تحيل تقديراً على مرزبان راوي ابن عربشاه، وجزؤه الثاني تمثله عبارة (بلغني) التي تعلن بداية السرد، فهي فاتحة واستهلال، بل إنّها بمثابة "عتبة دخول إلى عالم القصّ الخيالي"⁵⁹.

ويؤسس هذا الراوي مشروعه الحجاجي باعتماد السرد اللاحق من جهة وسياسة التخفي من جهة ثانية. وهو يعلن من خلال المقطع الافتتاحي لهذا الباب عن المكان والزمان والشخصيات المتحاورّة في الحكاية المثليّة، ثم ينسحب تاركاً المجال إلى هذه الشخصيات تتخاطب. يقول: " كان في بعض الغياض أسد عظيم في خدمته ثعلبان، وله دب بينه وبين الثعلبين عداوة وكان هو أقربهما من حضرة الملك. فحاقهما المكر السيئ فكان يتوقع لهما عثرة يتوصل بها إلى إفساد صورتها . ففي بعض الأيام كان الثعلبان ينادمان الملك فغلب عليه النعاس فخرج منه ريح سماعها و استيقظ هو لها فتناوم ليعرف ما يصدر منهما، فلم يتمالك الرئيس أن ضحك"⁶⁰. (ينسحب الراوي ويتترك مجال السرد إلى الشخصيات).

يتبيّن إذن أن الراوي فتح أبواب عوالم الملوك والحاشية في وجه المرويّ له فأتاح له معرفة طبيعة العلاقة بين الملك وأعوانه، و يتبيّن كذلك

أن الحوار بين شخصيات هذه الحكاية المثلّية مندرج في حوار أوسع طرفاه الرّاوي والمرويّ له ومن ورائهما الكاتب (ابن عربشاه) والقارئ (قارئ المثل في كل عصر ومصر).

إن البعد الحجاجي في خطاب الرّاوي مضمّر. ويلعب فيه الرّاوي على وترين لبسط أطروحته وإقناع المتلقي بها. فبدا ساردا محايدا وموضوعيا وشاهد عيان يكتفي في تخف شديد بنقل الخطاب الدائر بين الشخصيات. لكننا نجده أحيانا طرفا في فعل الرّواية من خلال تعليقه على بعض المواقف أو سلوك الشخصيات.

خاتمة :

اجمالا، لقد أوقفنا تتبع البعد الحجاجي في الحكاية المثلّية عند ابن عربشاه إلى أنّ الحجاج اتخذ أشكالا مختلفة، فرغم أنّ الحجاج من خلال ممثليه يختلف عن نظيره في خطاب الرّاوي فقد اتضح لنا ما بين مستويات الخطاب الحجاجي في نص المثل من تواشج وتكامل.

فالشخصيات الحيوانية تتحاور فيما بينها ويسعى كل منها للتأثير في الآخر "ولكن تفاعلها الحجاجي مندرج ، دون علم منها ، في تفاعلين آخرين طرفا أولهما تخييليان هما الرّاوي والمرويّ له وطرفا ثانيهما واقعيان هما الكاتب والقارئ"⁶¹.

ولئن أفضى بنا البحث إلى تبين أهمية الحجاج في نسيج الحكاية المثلّية وتأثره بخصائص هذا الجنس الأدبي القائم على التخيل و الرمز، فإننا على علم، في نهاية هذا العمل، بأنّ دراسة مسألة الحجاج في نصوص الحكاية المثلّية في الأدب العربي تستوجب وقفة أوسع وتحليلا أعمق وبحثا

أشمل... وهو رهان تحقيقه موكول إلى جهد جماعي يجدر أن يُنجز في نطاق واسع.

المواش و المراجع

1- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ح.ج.ج) دار المعارف، القاهرة، مصر، الجزء II ، ص 779، أنظر كذلك عبد الله البستاني، معجم الوسيط للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1990، ص 117: "حاجة وحاجة وحاجا خاصه فحجّه بالحجج الشيء أولى بها، تحاجوا تخاصموا، الحجّة بالضمّ: الدليل والبرهان وما دفع به الخصم، والوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة جمع حجج، المحجاج الكثير الجدل". أو قول بطرس البستاني قاموس محيط المحيط ، مكتبة لبنان، بيروت 1987، ص 149: "حاجّه وحاجا: خاصه نجّه أي غلبه بالحجّة، واحتجّ به جعله حجّة له واعتذر به... والحجّة: البرهان... وقيل الحجّة مرادفة للدليل".

2 - ابن منظور، مرجع مذكور، ص 779.

3 - حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة الجزء الأوّل، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 2010. - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، الجزء الأوّل ، جامعة منوبة تونس، كلية الآداب، منوبة، 2001.

- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1987. - كورنيليا فون راد- صكّوحي، الحجاج في المقام المدرسي، وحدة البحث في تحليل الخطاب منشورات كلية الآداب منوبة ، تونس 2003. - Chaim Pereleman et Lucie O.Tyteca, traité de l'argumentation, Edition de L'université de Buxelles, 5ème Editions, 1992.

- Stephan Edelson Toulmin, les usages de l'argumentation, P.U.F 1993.- J.C.Anscombe et O.Ducrot, L'argumentation dans la langue, Edition, Mardage, Liege-Bruxelles, 2ème édition 1988.

4- لم نقصد إيراد هذه التعريفات من باب إعادة ما قيل في مراجع عديدة أخرى - عربية وغربية - إنّما دفعنا إلى ذلك جدّة مفهوم الحجاج في الدراسات العربية الحديثة على وجه الدقة. وعلى هذا النحو نقدر أنّ إيراد هذه التعريفات - وإن بصفة مجملّة - يبسر لنا

وللقارئ من بعدنا تمثل منطلقات هذا البحث وغاياته. ومن ثمّة الإمام بمشكليّة الموضوع الذي نحن إليه بسبيل.

5- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، د.ت، الجزء 3، ص 194.

6- ابن عاشور، المرجع نفسه، الصّحفة نفسها.

7 - صادق الحسيني الشيرازي، الموجز في المنطق، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان: "الطبعة الثالثة، 1981، ص 104.

8- عبد الله صولة، مرجع مذكور، ص 19.

9- أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرّحمان بدوي، دار الشؤون الثقافيّة العامّة ، بغداد 1986، المقالة 1، الفصل 2، 1356 أ.

10 - فصل بيرلمان وتيتكاه القول في هذه المسألة في الصّحفة 62 من المرجع المذكور سابقاً.

11 - أرسطو، مرجع مذكور، المقال 3، الفصل 7، 1408 أ.

12 - ينظر كتاب، 137 - 122 م . م S.E Toulmin, les usages de l'argumentation, op.cit.p.p. 122-137

13 - عبد الله صولة، مرجع مذكور، ص ص 29-30.

14 - المرجع نفسه، ص 30.

15 - انظر Ch.Pereleman et O.Tyteca, traité de l'argumentation , op.cit, p 5.

16- المرجع نفسه، ص 59.

17- عبد الله صولة، مرجع مذكور، ص 31.

18- انظر J.C.Anscombe et O.Ducrot, L'argumentation dans la langue, op.cit, p 8

19- المرجع نفسه، ص 11.

20 - عبد الله صولة، مرجع مذكور، ص 39.

21- انظر Michel Meyer, Logique, Langage et argumentation, Editions Hachette, 1982, p 112.

- 22- المرجع نفسه، ص 136.
- 23- المرجع نفسه، ص 137، نقلا عن عبد الله صولة، مرجع مذكور ص 42.
- 24- محمد غفراني الخراساني، مرجع مذكور، ص 418.
- 25- نعني بهم أولئك الذين درسوا كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع وتأثيره في غيره من الكتب المنتمية إلى جنس الحكاية المثلية مثل محمد غفراني الخراساني، مرجع مذكور - مجدي محمد شمس الدين إبراهيم، كليلة ودمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشرقية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 26- دائرة المعارف الاسلامية، مرجع مذكور، ص 230، أنظر كذلك، إحسان جعفر، مرجع مذكور، ص 140.
- 27- ورد بالموسوعة العربية الميسرة، المجلد 2، دار الشعب، 1987، ص 1070 أن كلمة "شاه" كلمة فارسية معناها ملك [...] لا تزال الكلمة مستعملة في البلاد الاسلامية التي يتكلم فيها أهلها بالفارسية دالة على الملك".
- 28 - إحسان جعفر، مرجع مذكور، ص 140.
- 29 - شهاب الدين أحمد بن محمد بن عرب شاه، مرزبان نامه، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1992، ص 7.
- 30 - محمد غفراني الخراساني، مرجع مذكور، هامش 1، ص 418.
- 31 - مجدي محمد شمس الدين إبراهيم، مرجع مذكور، ص 166.
- 32 - ابن عربشاه، مرزبان، نامه، ص 7. ونشير إلى أننا سنستعمل لاحقا كلمة "المصدر" كأداة إجرائية للدلالة على كتاب مرزبان نامه، أنظر كذلك EI 2, in Tome 3 , Art Hikaya, p 384
- 33- محمد غفراني الخراساني، مرجع مذكور، ص 419، أنظر كذلك EI 2, in Tome 4 , Kalila wa Dimna, p 528, p 384
- 34 - وهو جد الأمير عنصر المعالي كيكائوس بن أمسكنه مؤلف كتاب قاموس نامه في النصيحة الذي وضعه لابنه كيلانشاه ونقله إلى العربية صادق نشأت وأمين عبد المجيد بدوي وطبع في القاهرة سنة 1908. نقلا عن مجدي محمد شمس الدين إبراهيم، مرجع مذكور، هامش 77، ص 170.

- 35 - لقد فصلنا القول في هذه النقطة وغيرها في كتابنا الموسوم بـ: الحكاية المثلية في مرزبان نامه بترجمة ابن عربشاه. الدار التونسية للكتاب، ط1، تونس 2012، حيث عقدنا قسما كاملا من البحث لدراسة أهمّ الجوانب ذات العلاقة بهذا المصدر وغيره مما كتب في الجنس الأدبي للحكاية المثلية.
- 36 - ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 7.
- 37 - نفسه، ص نفسها.
- 38 - نفسه، ص 14.
- 39 - ابن عربشاه، المصدر نفسه، ص 7.
- 40 - من ذلك مثلا ما ورد في الباب الأخير من مرزبان نامه قوله: "إياك أيها العظيم وصاحب الملك الجسيم الأخذ للمال من غير حله ووضع في غير محله ولو كان موضع الخير أو قصد به نفع الصغير، فإنه لا ينبغي خيره ولا يفي شره بل ولا يقوم نفعه بمضره. وذلك كلوازم الفارس وبنيان المدارس وتعيين المساجد وتعمير المعابد وسد الثغور وعمارّة القناطر والجسور والقبور وعمل مصالح الجمهور على أحسن وجه المعمور"، ص 225.
- 41 - المصدر نفسه، ص 181.
- 42 - كورنيليا فون راد صكّوحي، مرجع مذكور، ص 30.
- 43 - محمد نجيب العمامي، تحليل الخطاب السردّي. كليّة الآداب بمنوبة، وحدة الرّاسات السردّيّة ومسكيلياني للنشر والتوزيع، الطّبعة الأولى، 2009، تونس.
- 44 - ابن عربشاه، المصدر، ص 61.
- 45 - نفسه، الصّفة نفسها.
- 46 - ن، ص نفسها
- 47 - ابن عربشاه، المصدر، ص 63.
- 48 - نفسه، ص 66.
- 49 - ن، ص 69.
- 50 - ن، ص 78.
- 51 - محمّد نجيب عمامي، مرجع مذكور ص 115.

- 52- في تحليل هذه المسألة في كتابه Christian Plantin-توسّع -
L'argumentation, Paris, seuil, 1996, p 27 .
- 53 - Jaap lintvelt, Essai de typologie narrative, 2ème édition, Paris, 1989, p.p 18-22.
- 54 - Gérard Genette, nouveau discours de récit, éditon du seuil, Paris 1983, p.p 93-105
- 55 - Gérard Genette, nouveau discours de récit, op.cit, p.p 6
- 56 - محمد نجيب عمامي، الرّأوي في السرد العربي المعاصر - رواية الثمانينات بتونس، كلية الآداب بسوسة/ دار محمد علي الحامي، تونس، جانفي 2001
- 57- علي عبيد، المرويّ له في الرّواية العربيّة ، كلية الآداب بمنوبة دار محمد علي الحامي، تونس، ط 1، 2003.
- 58- محمد نجيب عمامي، مرجع مذکور، ص 118.
- 59 - محمد رجب النجار، مقال: حكاية الحيوان في التراث العربي، عالم الفكر، مجلّد 24، عدد 1+2، أكتوبر، ديسمبر 1995 ص 201.
- 60- ابن عربشاه، المصدر، ص ص 61-62.
- 61- محمد نجيب عمامي، مرجع مذکور، ص 138.